# التقرير اليومي

٢٠٠٧/٧/٣١

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

## معالجة مسألة الأسد

**بقلم جون آلترمن (مدير برنامج الشرق الأوسط في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية)؛ ٢٠٠٧/٧/٢٧**

تعتقد إدارة بوش بأنّ الرئيس السوري بشار الأسد يخادع. فسياستها بقطع معظم الإتصالات مع الحكومة السورية وتشديد العقوبات يعني إشارة بأنّ الولايات المتّحدة لديها القوة والإرادة المتفوقتين. وفي مرحلة ما، بحسب هذه الحجة، سيدرك السوريون بأنّ المقاومة عبث، وسيتخلون عن تقليد المعارضة البغيضة والخبيثة للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط. إلا أنّ زيارة لي الى دمشق أوائل هذا الشهر، تضمنت مناقشة دامت ساعة مع الأسد، جعلتني مقتنعاً بأن هذا النظام لا يمكن إخافته بشكل مباشر وصريح.

فالحكومة السورية قد تبالغ بتقدير مركزيتها في السياسات الشرق أوسطية وفي وزنها الديبلوماسي، لكنها تعلم كيف تبقى في السلطة. إذ تم إكتساح بقية منطقة الشرق الأوسط بمناقشات التغيير الإجتماعي والسياسي، التطور الإقتصادي، والإستثمار الأجنبي المباشر؛ فقادة سوريا منشغلين بالأمن والإستقرار، وبدلاً من التحدث بصراحة وحرية، ينحنون. وبعد ٦ أسابيع من فوز الأسد بالإنتخابات بنسبة ٩٧,٦% من الأصوات، لا تزال لوحات الصور والتملق التي تحمل رسائل الحب والتمجيد مُكلّلة معظم لوحات الإعلانات والفسحات الكبيرة والواسعة في دمشق. إنّ هذه الحكومة المتسلطة لا تبحث عن سياسة مثيرة جديدة.

ورغم ذلك، وبما يتعلق بكل سلطة الأسد، فهو لا يمارسها بطرق مألوفة للجمهور الغربي. فالسوريون يعتقدون بأنّ الأسد قد ورث عدم ثقة والده بالكلمة المكتوبة ويعتمد على إعطاء التعليمات الشفوية لمرؤوسيه. أما الإفتقار لإطار مرجعية مشتركة، فيجعل الأنظمة البيروقراطية تعمل غالباً وفق أهداف وغايات متقاطعة أو يجعلها تتحرك من دون هدف.

ويتحدث الأسد، الآن، الإنكليزية بطلاقة– على عكس نقاش دار معه منذ ثلاث سنوات– وهو يظهر إشارات معرفية وثقافية بمعظم المجالات العالمية. فعلى سبيل المثال، هو يميز بين قضايا سوريا "الهامة" والقضايا "الملحّة"– إحدى "العادات السبع للشعب المؤثر بشدة"، كما أكد لي صديق له. فوالده (حافظ الأسد) قاد الديبلوماسيين الغربيين الى الإلتهاء بإجتماعات ماراثونية ومفاوضات مطولة والإنشغال بها. أما الإبن، فيضيف مظهراً براقاً خادعاً، وأكثر مهنية، على الأمور، لكنه يبدو منتظراً خروج إدارة بوش وإستئناف بناء علاقة ثنائية مع

الولايات المتّحدة في العام ٢٠٠٩. أما في إجتماعنا معه، فقد عانى الأسد لكي يبدو متكيفاً مع مسألة السيادة اللبنانية والنزوع مستقبلاً نحو المفاوضات مع إسرائيل– التي سماها بالإسم. فالعراق هو ما يلوح، فقط، كتهديد إستراتيجي كبير في حساباته.

أما السياسة الأميركية المتبعة، فهي التحفظ الكبير مع سوريا وإقصائها: إذ ليس هناك من سفير أميركي في دمشق، ومن المحظر على الديبلوماسيين الأميركيين إجراء الإتصالات المنتظمة مع نظرائهم السوريين. أما السوريون فمتحفظين وفاترين هم أيضاً. ويتهامس الصحافيون في دمشق بأنّ الخوف من الظهور كمتوسلين لا يجعل المسؤولين السوريين، فقط، يبتعدون عن زيارة واشنطن، وإنما الوفود غير الرسمية أيضاً.

وفي حين يتحدث المسؤولون السوريون، غالباً، عن مركزية سوريا "للعثور على الحلول" في الشرق الأوسط، فإنّ سجل الحكومة كمخرب إقليمي هو أكثر تأثيراً بكثير. ومع ذلك، فإنّ التعاون السوري يستحق السعي وراءه وذلك لثلاثة أسباب على الأقل:

أولاً، بالرغم من كل خلافاتهما، تتقاسم الحكومتين الأميركية والسورية مروحة من المصالح المتنوعة. إذ لا تريد أي من الحكومتين رؤية العراق يغرق بالفوضى أو ينهار. كما أنّ لا تريد أي منهما رؤية حركة جهادية صاعدة ومهيمنة في الشرق الأوسط. أما التحالفات فلم تكن مؤسسة إلا على أسس ضعيفة وقليلة.

ثانياً، ليس هناك من دليل كبير على أنّ سوريا المحشورة هي سوريا أكثر مرونة وخضوعاً. فالأجهزة الأمنية النافذة، نظام المراكز الوظيفية القوي والمتين والإفتقار التام للبدائل السياسية، كلها أمور تعرض الى أنّ الحكومة السورية يمكنها البقاء في السلطة حتماً. أما الولايات المتّحدة فليست على وشك غزو سوريا. وفي حين أنّ بإمكان الضغط الأميركي تخفيض النمو الإقتصادي السوري، فإنّ نظرة سريعة حول دمشق توضح بأنّ النمو الإقتصادي ليس هو الأولوية العليا للحكومة.

ثالثاً، إنّ كلفة الحوار مع سوريا هو الوقت ووقود الطائرات وأشياء صغيرة أخرى. إذ بإمكان الولايات المتّحدة وسوريا– وعليهما– الشروع بسلسلة من الجهود المتوازية (حتى ولو كانت غير منسّقة منذ البداية) لمواصلة العمل على المصالح المشتركة. وبمرور الوقت، يمكن بناء الثقة لتوسيع العمل المشترك حول الأهداف المشتركة. وإذا لم ينجح هذا الأمر، بإمكان الولايات المتّحدة حينها الإبتعاد من دون أن يلحق ذلك أي ضرر بكرامتها وعزتها أو هيبتها.

بالواقع، إنّ الخوف الظاهر من الفشل بين أوساط المسؤولين الأميركيين هو الأمر الأكثر إستعصاءً على الفهم. فمنذ أشهر قليلة مضت، أخبرني مسؤول أميركي كبير بأنّ الولايات المتّحدة كانت مترددة حيال الحديث مع سوريا لأننا كنا نعلم بأنّ سوريا ستسعى للحصول على تنازلات أميركية غير مقبولة في لبنان. كيف نعلم ذلك؟ ولماذا لا نستطيع أن نقول لا؟

أما المشكلة، فهي كالتالي: إنّ إدارة بوش تسعى الى "إصلاح" العلاقات مع سوريا، وكل ما تراه هو التحدي والتوعد الفارغ الآتي من دمشق. أما الفرص فضئيلة بالواقع، لكن إذا كانت الإستراتيجية الأميركية، بدلاً من ذلك، هي تولي مسألة الأنشطة السورية بثقة بالنفس مصدرها القوة الأميركية الطاغية، فإن ألإمكانيات ستكون كبيرة وواسعة.

إنّ الولايات المتّحدة قوة قادرة وعليها العمل على أنها كذلك.

## التحالف السوري- الإيراني والأرضية المبهمة

**بقلم كافي أفراسيابي؛ Asia Times؛ ٢٠٠٧/٧/٢١**

في مناسبة ولاية الرئيس السوري بشار الأسد الثانية، قام الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد برحلته الثانية الى دمشق يوم الخميس بأمل إرساء العلاقات في الوقت الذي ترتفع فيه التساؤلات حول تحالفهما الإستراتيجي.

فذلك التحالف، الذي كان صلباً منذ أوائل الثمانينات عندما دعمت سوريا إيران ضد الغزو البعثي العربي الآخر لإيران- أي غزو صدام حسين- كان عرضة لضغوط جديدة تتعلق بالأمن الناشئ وبالحسابات الجيوبوليتيكا في الشرق الأوسط. وقد جددت هذه الضغوط الحديثة آمال إسرائيل، الولايات المتّحدة، والأنظمة العربية الموالية لأميركا، مثل الأردن ومصر، بـــ "إعادة توجه" سوري بعيداً عن إيران.

وفي حين أهمل مراقبون أذكياء للشرق الأوسط توقعات كهذه سابقاً بصفتها بعيدة الإحتمال، فقد غذى جولة التوقعات الأخيرة حول طرح المحور الإيراني- السوري، من بين أشخاص آخرين، المبعوث الخاص للأمم المتّحدة للشرق الأوسط مايكل وليامز، الذي صرح قائلاً: "إنّ الإنطباع الذي خرجت به من زيارتي الى دمشق هو أنه إذا كان هناك من تقدم بالنسبة لتأسيس مسار للسلام، فإننا سنرى بعض التغييرات في السلوك السوري حول قضايا ثلاث هي: إيران، حزب الله وحماس".

وتطابقاً مع الأخبار حول "مرونة" سوريا الجديدة بخصوص إيران، فإنّ الأمر له صلة بأخبار عن إتصالات سرية بين سوريا وإسرائيل وسط دعوات متكررة من قِبَل رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت لسوريا بالدخول في محادثات سلام جادة.

وتضع كل من الولايات المتّحدة وإسرائيل رهاناتهما على الضغوطات الموحدة التي تواجه الأسد هذه الأيام. وتتضمن هذه الضغوطات أزمة اللاجئين العراقيين المتزايدة، المأزق السياسي في لبنان، المحكمة الدولية حول إغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، الركود الإقتصادي، والتهديدات بمواجهة عسكرية مع جيش إسرائيلي متفوق. وهذه كلها عوامل ترى الولايات المـــّحدة وإسرائيل بأنها تضعف علاقات سوريا مع إيران. وهذا هو السبب الذي دعا بالمعلقين الإسرائيليين المختلفين الى عدم التعب من الكتابة حول الأولويات المختلفة والمتباينة لإيران وسوريا، بصرف النظر عن الحقيقة بأنه لا يزال لا يوجد، حتى الآن، دليل تجريبي كبير يؤكد ويثبت توقعاتهم.

أما الأسباب المحددة لمتانة العلاقات الإيرانية- السورية، فلا تزال سليمة لم تمس بأذى: فإسرائيل لم تظهر أية إشارة جدية حول التخلي عن الأراضي السورية التي تحتلها، كما أنها مستمرة بتهديد سوريا عسكرياً. وهذا سبب كافٍ للقيادة السورية حتى لا تكون متأرجحة بسبب الجزرات الصغيرة التي ترميها أمامها الولايات المتّحدة وإسرائيل. أما في الوقت الحاضر، فهناك "إيماءات" عديدة كهذه تجاه سلام الشرق الأوسط. فالرئيس الأميركي جورج دبليو بوش دعا، بشكل متأخر وضعيف، الى مؤتمر سلام على نموذج أوسلو. كما هناك مبادرة الإتحاد الأوروبي الشرق أوسطية الأخيرة التي لم تلقَ ترحيباً جيداً، لا من قِبَل الولايات المتّحدة ولا من إسرائيل، بما أنها مبنية على أساس فكرة الأرض مقابل السلام، والتي تشبه كثيراً مبادرة السلام العربية بقيادة السعودية.

أما بخصوص المبادرة الأخيرة، فقد سافر ممثلون لجامعة الدول العربية الى إسرائيل منذ وقت قصير، وهذه إشارة أخرى أيضاً للطريق العالمي العربي نحو تقارب مع إسرائيل. ومن المرجح أن يكون لهذا الأمر تعقيداته على العلاقات الإيرانية- السورية في حال تمكنت تلك المبادرة من إزالة بعض العوائق الهامة والبارزة التي كانت تعرقل عملية السلام.

أما في هذه اللحظة، فلا يبدو ذلك أمراً مرجحاً، تحديداً لأنّ جراحات حرب لبنان- إسرائيل في العام الماضي لا تزال حية، كما أنّ إنشقاق حماس- فتح في المعسكر الفلسطيني لا يزال يتسع.

وبصرف النظر عن كل ذلك، كانت الحكومة السورية، بظل الأسد، تتطور بإتجاه ليس متناسقاً بالكامل مع أهداف السياسة الخارجية الإيرانية. فبرغم إيديولوجيته العربية، أعطى النظام البعثي في سوريا صوته دعماً لمجلس التعاون الخليجي حول قضية الجزر الثلاث الشائكة-

أبو موسى، طنب الكبرى وطنب الصغرى– في النزاع بين إيران والإمارات العربية المتّحدة. وبسبب الدعم المالي لمجلس التعاون الخليجي لسوريا للتغلب على مشكلة اللاجئين الهائلة على أراضيها، فإن من المرجح إستمرار دمشق بتلك السياسة في المستقبل المنظور.

وبالواقع، فإن قضية اللاجئين الثقيلة، التي لا تظهر أية إشارة بشأن التخفيف منها برغم إحتضان دمشق لحوالي ١,٥ مليون لاجئ عراقي، ستدفع دمشق نحو العربية السعودية، التي كان مواطنوها، المتحولين الى جهاديين، يستخدمون نقاط الدخول السورية الى العراق على مدى الأعوام العديدة الماضية– هذا دون ذكر "مقاتلي الحرية" السوريين ومن دول عربية أخرى. فبحسب أحدث تقرير للجيش الأميركي، فإنّ حوالي ١٥% من المقاتلين الأجانب في العراق يأتون من سوريا.

وكانت دمشق قد حسنت علاقاتها مع تركيا أيضاً، حليف إسرائيل في المنطقة، وهذا يعتبر، بشكل ما خبراً، غير سوي بالنسبة لطهران، التي تنظر الى سوريا كموازن مضاد للمحور التركي– الإسرائيلي. أما فرنسا، وبظل الرئيس الجديد نيكولا ساركوزي الموالي لأميركا، فقد هدر بعض الوقت قبل أن يحاول مد يده نحو سياسة سورية ناشطة. فمن وجهة نظر أفضلية لطهران، فإنّ النتيجة الخالصة لكل التأثيرات الخارجية على سوريا قد تكون بالفعل ناضجة أو "إنقلاباً ناعماً" بعلاقاتها مع سوريا.

كما هناك الأزمة النووية الإيرانية، مع بعض المحللين السياسيين الإيرانيين المعلقين على ما إذا كان الإنفتاح الإسرائيلي الجديد تجاه سوريا، أم لا، جزء وحزمة من إستراتيجية هجومية إسرائيلية ضد إيران. وبمعنى آخر، هل على إسرائيل القيام بتنازلات جدية لسوريا قبل أية هجمات ضد مواقع إيران النووية؟ "يبدو بأنه هناك تحرك بطئ في الحكومة السورية لا علاقة له كثيراً بإعادة درس علاقاتها مع إيران، كما ليس له علاقة بإعادة إنشائها"، قال بروفيسور في جامعة طهران لهذا المؤلف، متسائلاً عالياً حول ما الذي قد تبدو عليه "ثوابت المعادلات" لإعادة البناء من جانب دمشق.

ولا أحد اليوم في داخل إيران، تقريباً، يمكنه إستثناء إمكانية حصول ضربة عسكرية أميركية أو إسرائيلية في المستقبل (القريب)، الأمر الذي يؤدي بدوره الى مفاقمة حاجة البلاد الى دعم تحالفاتها الإقليمية وشبكات وحدة الصف والتكاتف. "فالحرب النفسية" الإسرائيلية ضد إيران كان لها تأثير معاكس وغير مقصود بالتسبب بمضاعفة جهود إيران للمحافظة على سوريا ضمن الشراكة الإستراتيجية. لكن هل هذا الأمر يتطابق مع سوريا بما يخص القوة المعادلة أو الحالة الطارئة؟ على الأرجح كلا.

ففي زيارته التي دامت يوماً واحداً الى دمشق، كان أحمدي نجاد برفقة وزير الخارجية منوشهر متكي وفريق رسمي كجزء من جهود إيران لمساعدة سوري بعجزها عن إيواء العدد الضخم للاجئين العراقيين المتدفقين إلى أراضيها. بالواقع، قد تكون إيران مجبرة على دعم الحكومة السورية التي تلعب دور المضيف للعراقيين الفارين من بلدهم الذي دمرته الحرب. إلا أنّ طهران لديها حدودها الإقتصادية والمالية، فهناك حد للحوافز التي يمكن أن توفرها لدمشق. فإذا ما أذعنت دمشق أكثر فأكثر لصالح حصول حوار وتسوية مع إسرائيل، فسيكون على إيران القيام بخيار قاسٍ وجذري: إما الإقتداء بسوريا ووضع تعديلات مشابهة في سياستها الخارجية أو المخاطرة بدق إسفين سياسي متزايد بينها وبين سوريا.

أما الآن، فيعتبر هذا السؤال مرهون بالمستقبل إلى حد كبير. فأولمرت الإسرائيلي في مرمى النار في بلده وهو مشلول بطريقة ما؛ إذ من غير المرجح أن تكون لديه الإرادة السياسية للبدء بأي شيء جدي ضد سوريا. وهناك الرئيس– البطة العرجاء في البيت الأبيض الغارق في وحل العراق، كما هناك مصير الحوار السياسي المعلّق والذي تحيط به غيمة كثيفة من الشك والغموض في لبنان، حيث لا يزال لسوريا، رغم إخراجها قواتها قبل عامين، نفوذ هام ومصالح واسعة.

بالواقع، إن الإلتباس الكبير جداً في مسألة قرب سوريا يساعد في متانة علاقاتها مع إيران. وبالقيام بتعديلات ضئيلة في سياستها الخارجية الداعية لمراجعات دورية بعلاقاتها مع سوريا، ضمنت إيران، بالواقع، أن تكون لإستمرارية العلاقة اليد العليا. أما السؤال الكبير، فهو التالي: ما الذي يحصل إذا ما نجحت المحاولات الأميركية ومحاولات الإتحاد الأوروبي الضعيفة بشأن البدء في عملية السلام ؟ فهل ستتكيف إيران مع

هذه العملية أم أنها ستلعب دور المخرب؟ وإذا ما حصل الأمر الأخير، فهل هذا سيخرب علاقاتها الحساسة مع سوريا؟ قد يكون هذا السؤال هو الأهم المطروح اليوم في عاصمتَيْ البلدين.